مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد 4، (السداسي الثاني 2022م)، ص. 43 – 76

عدد خاص بالملتقى الدولي

(العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري)

الدور التاريخي للعلوم الإسلامية في بناء الحضارة العربية والغربية

مالك بن نبي وروجيه غارودي أنموذجين

The historical role of Islamic sciences in building Arab and Western civilization

Malik Bennabi and Roger Garaudy are two examples

د. سليم خيراني*

جامعة علي لونيسي – البليدة 02، قسم اللغة العربية وآدابها (الجزائر)

salimkhirani@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/10 تاريخ القبول: 2022/10/01 تاريخ النشر: 2022/11/30

ملخص:

إن العلوم الإسلامية قيمة علمية وحضارية، فهي علوم تفرّعت عن القرآن الكريم والسنة النبوية، فهما يحثان على طلب العلم، وقد حذّر الإسلام من كتم العلم، وبهذا التحفيز الديني انتشرت العلوم الإسلامية وحلّت حيثما حلّ الإسلام والمسلمون.

تعود أهمية هذا البحث إلى أن نشر العلوم الإسلامية عامل أساسي لتحقيق السلام والتعايش السلمي في العالم وتقريب الشعوب من بعضها البعض باختلاف مشاربهم ومناهلهم ودياناتهم ومعتقداتهم. فما هو مفهوم العلوم الإسلامية؟ وكيف كانت نشأتها ؟ وما هي مميزاتها ؟ وما موقف الإسلام من هذه العلوم ؟.

من أهداف هذه الدراسة: توطيد العلاقات بين الحضارات المختلفة عن طريق نشر العلوم الإسلامية، تحفيز الشعوب غير المسلمة للتعرف على العلوم الإسلامية، نبذ الكراهية وقبول الآخر في ظل تبادل العلوم.

لقد اخترت المنهج الوصفي التحليلي النقدي؛ لأني عمدت إلى وصف المصطلحات والمفاهيم الموظفة في البحث.

* المؤلف المرسل

ومن أبرز نتائج الدراسة: انتشار العلوم الإسلامية في العالم لم يكن ليحدث لولا الأسس المتينة التي اعتمدت عليها، مثل: الإسلام، العدل والمساواة، تشجيع خلفاء المسلمين للعلم والعلماء، أهداف العلوم الإسلامية كثيرة، منها: الدعوة إلى التوحيد، تكوين علماء متمكّنين، كالفقهاء والمحدّثين، توحيد المسلمين على كلمة واحدة انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية، تقوية الوازع الديني لدى الأفراد والجماعات، تنظيم حياة الناس وفق الشريعة الإسلامية مع إيجاد حلول للنوازل والحوادث التي لم تكن في أسلافنا الأولين، نشر تعاليم الإسلام والقيم الأخلاقية التي جاءت لخدمة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإسلامية، الحضارة الإسلامية، الحضارة الغربية، التعايش السلمي، مالك بن نبي، روجيه غارودي.

Abstract:

Islamic sciences are a scientific and civilized value, as they are sciences that branched off from the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet, as they both encourage the pursuit of knowledge, and Islam has warned against concealing knowledge. With this religious stimulus, Islamic sciences spread and settled wherever Islam and Muslims settled . The importance of this research is due to the fact that the dissemination of Islamic sciences is an essential factor for achieving peace and peaceful coexistence in the world and bringing peoples closer to each other with their different backgrounds, sources, religions and beliefs. What is the concept of Islamic sciences? How was its upbringing? And what are its features? What is the position of Islam on these sciences ?

Keywords : Islamic sciences, Islamic civilization, Western civilization, peaceful coexistence, Malik Bennabi, Roger Garaudy

1 – مقدمة:

إن العلوم الإسلامية قيمة علمية وحضارية، فهي علوم تفرّعت عن القرآن والكريم والسنة النبوية الشريفة مثل علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة والتاريخ والطب والفلك ...الخ، ولم تبق هذه العلوم حبيسة لدى المسلمين بل تعدت الحدود الجغرافية وانتشرت في العالم الغربي من بوابة الأندلس.

إن نشر العلوم الإسلامية كان حتمية تاريخية للرد على فكرة "انطوائية الإسلام والمسلمين"، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يحثان على طلب العلم ونشره بين الناس، وقد حذّر الإسلام كل شخص يكتم العلم ولا يسعى لنشره، وبهذا التحفيز الديني انتشرت العلوم الإسلامية وحلّت حيثما حل الإسلام والمسلمون.

لقد خدم المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله (1905 – 1973م) الحضارة والإنسانية، من خلال كتبه التي تتجاوز 20 كتابا، منها: شروط النهضة، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مشكلة الثقافة، ميلاد مجتمع، ..الخ، وهذه الكتب تندرج في سلسلة سمّاها " مشكلات الحضارة "لتحديد أسباب التخلف الحضاري والثقافي، ووضع آليات وأسس للإقلاع الحضاري معتمدا على الإنسان، فهو قطب الرحى في معادلته الشهيرة " الحضارة = الإنسان + التراب + الوقت". وقد ساعده في ذلك دراسته للحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية من خلال احتكاكه بجمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ ابن باديس رحمه الله من جهة، وسفره إلى فرنسا وتعرّفه على الوجه الحقيقي للحضارة الغربية من جهة أخرى.

لقد اهتم روجيه غارودي (1913 – 2012م) بالعلوم الإسلامية خاصة العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم، وخلص إلى أن الدين الإسلامي هو دين السلم والسلام والعلم والخير لكل شعوب العالم، وليس كما تم الترويج له بأنه دين إرهاب وتطرف، وما يحدث من قتل وتفجير وترويع الناس لا علاقة له بالدين الإسلامي الحنيف الوسطي المعتدل، ولكنه مرتبط بأفراد يُحسبون على المسلمين أساؤوا فهم النصوص الشرعية (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، ولا سبيل لتحسين صورة الإسلام إلا بمحاربة التطرف والتعصب والفكر التكفيري.

إن نشر العلوم الإسلامية يحتاج إلى وسائل مادية ومعنوية على مستوى الأفراد والجماعات والدول، منها: التربية الأسرية للأبناء بغرس ثقافة حب العلم والتعلّم والتعليم، نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الوسطي المعتدل ونبذ التطرف والإرهاب، إبعاد الصراعات السياسية والإيديولوجية عن العوامل المشتركة بين شعوب العالم، ترجمة العلوم الإسلامية إلى لغات العالم، تجنيد المؤسسات الدينية والتعليمية والمعاهد والجامعات والمراكز البحثية، توظيف الفن

الهادف، الجاليات العربية المهاجرة في الغرب، المؤسسات الدولية والمؤتمرات العالمية، وسائل الإعلام.

إن وسائل الإعلام التقليدية والجديدة لها حصة الأسد في نشر العلوم الإسلامية بين الحضارات والثقافات، فبفضلها أصبح العالم قريةً صغيرة، وأضحت الشعوب قريبة من بعضها البعض في عدة ميادين: سياسية، اجتماعية، اقتصادية، رياضية وثقافية. إن وسائل الإعلام تستطيع توظيف الخطاب الإعلامي الإيجابي، الذي يدعو إلى الانفتاح على الآخر والترويج لقيم التسامح والتعايش السلمي، والتعريف بالثقافة العربية والإسلامية وعلومها المختلفة، وتحسين صورة العرب والمسلمين لدى الغرب والقضاء على فكرة "الإسلاموفوبيا".

مشكلة البحث: وتتمثل في الأسئلة التالية :

ما هو مفهوم العلوم الإسلامية ؟ وكيف كانت نشأتها ؟ وما هي مميزاتها ؟ وما موقف الإسلام من هذه العلوم ؟ وهل يمكننا نشر هذه العلوم بين شعوب العالم في ظل الهيمنة الغربية والصراعات الإيديولوجية ؟ وكيف كان ينظر مالك بن نبي إلى العلوم الإسلامية انطلاقا من الفكرة الدينية ؟ وما هي الأسباب التي جعلت روجيه غارودي يهتم بالعلوم الإسلامية مثل: القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ؟.

منهج الدراسة:

لقد اخترت المنهج الوصفي التحليلي النقدي؛ لأني عمدت إلى وصف المصطلحات والمفاهيم والأفكار الموظفة في البحث، وأما المنهج النقدي، فقد وظفته في تقييم الأفكار المطروحة في نشر العلوم الإسلامية؛ للحكم لها أو عليها، قصد الاستفادة منها وتطبيقها على واقع الشعوب.

أهداف البحث:

1- توطيد العلاقات بين الحضارات المختلفة عن طريق نشر العلوم الإسلامية.

2- تأصيل العلوم الإسلامية في الإسلام (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)

3- تحفيز الشعوب غير المسلمة للتعرف على العلوم الإسلامية

4- نبذ الكراهية وقبول الآخر في ظل تبادل العلوم.

5 – تبني الإسلام الصحيح الوسطي المعتدل ثقافة نشر العلم لغير المسلمين

6 – نشر العلوم الإسلامية بين شعوب العالم عن طريق وسائل الإعلام التقليدية والجديدة (الجرائد والمجلات، التلفاز، المذياع، الأنترنيت، ...)

7 – التفكير في إيجاد مشروع عالمي - بمبادرة عربية إسلامية – للتعريف بالعلوم الإسلامية وتقريب شعوب العالم من بعضها البعض.

أهمية البحث:

تعود أهمية هذا البحث إلى أن نشر العلوم الإسلامية عامل أساسي لتحقيق السلام والتعايش السلمي في العالم وتقريب الشعوب من بعضها البعض باختلاف مشاربهم ومناهلهم ودياناتهم ومعتقداتهم.

محتوى الدراسة:

مقدمة

تمهيد: تناولت فيه شرح المصطلحات المستعملة في البحث، مثل: العلوم الإسلامية، الحضارة، التعايش السلمي.

الفصل الأول: العلوم الإسلامية بين النظرية والتطبيق

المبحث الأول: أسس العلوم الإسلامية وأهدافها

المطلب الأول: أسس العلوم الإسلامية

المطلب الثاني: أهداف العلوم الإسلامية

المبحث الثاني: نشأة العلوم الإسلامية ومميزاتها

المطلب الأول: نشأة العلوم الإسلامية

المطلب الثاني: مميزات العلوم الإسلامية

الفصل الثاني: العلوم الإسلامية عند مالك بن نبي وروجيه غارودي

المبحث الأول: العلوم الإسلامية عند مالك بن نبي:

المطلب الأول: ترجمة مالك بن نبي

المطلب الثاني: مالك بن نبي والعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: العلوم الإسلامية عند روجيه غارودي :

المطلب الأول: ترجمة روجيه غارودي

المطلب الثاني: روجيه غارودي والعلوم الإسلامية

الخاتمة: وفيها :

خلاصة البحث.

نتائج البحث.

توصيات البحث.

تمهيد:

إن الحديث عن العلوم الإسلامية وتحديد مصطلحاتها المختلفة حديث ذو شجون، ولا يمكن الإحاطة بالأفكار المرافقة لها إلا إذا أمطنا اللثام عن مصطلحات طالما رافقتها في فترات زمنية مختلفة، مثل: الحضارة، والتعايش السلمي.

1 – تعريف العلوم الإسلامية:

العلوم الإسلامية هي العلوم التي تفرّعت عن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، مثل علم التفسير، وعلم القراءات، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم الحديث، وعلم اللغة، وعلم النحو، وعلم الأدب...الخ.[1]

2 – تعريف الحضارة:

الحضارة لغةً:

الحضارةُ لغةً: من الحَضَرِ والحَضْرَةِ والحَاضِرَةِ، وهي: خِلافُ البادية، وهي المُدُنُ والقُرَى والرِّيفُ، سُمِّيتْ بذلك لأنَّ أهلَها حضروا الأمصارَ ومساكِنَ الدِّيار التي يكون لهم بها قرار [2]. والحِضَارةُ - بكسر الحاء أو فتحها - هي: الإقامة في الحَضْرِ [3].

الحضارة اصطلاحا:

إنّ الحضارةَ في الاصطلاح لها تعريفات كثيرة، نذكر منها الآتي:

- الحضارةُ هي أحوالٌ عاديةٌ زائدةٌ على الضَّروري من أحوال العمران، زيادةٌ تتفاوتُ بتفاوتِ الرَّفَهِ وتفاوت الأمم في القلّة والكثرة تفاوتا عير منحصر[4]. والحضارةُ هي التّفنن في التّرف واستجادة أحواله والكلف بالصّنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع، كالصنائع المهيّئة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل[5].

- الحضارةُ هي الإنجازات التي تحققت للبشرية أو حققتها البشريةُ، فإذا تكلمنا عن حضارة المسلمين أو اليونان أو أوروبا، كان المقصود الإنجازات التي حققها هؤلاء أو أولئك في زمن معيّن[6].

---

[1] ينظر: ابن خلدون، المقدمة، 2 / 171 – 172، 177.

[2] ابن منظور، لسان العرب، 4 / 197، مادة " حضر ".

[3] مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، ص: 180.

[4] مقدمة ابن خلدون، 2 / 43.

[5] المرجع نفسه، 2 / 47.

[6] أحمد شلبي، المناهج الإسلامية، ص: 20.

- الحضارةُ هي الكيان الثقافي الأوسع الذي يضم الجماعات الثقافية مثل القبائل والجماعات العرقية والدينية والأمم، وفيها يعرّف الناس أنفسهم بالنسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات والمؤسسات الاجتماعية بدرجات متفاوتة وفْقًا للجماعات الثقافية الداخلة تحت حضارة واحدة[1].

3 - تعريف التعايش السلمي:

لغةً:

التعايشُ من العَيْشِ، والعَيْشُ: الحياةُ. والعِيشةُ: ضربٌ من العَيْش. يقال: عاشَ عِيشةَ صِدْق وعِيشةَ سَوءٍ. والمَعاشُ والمَعِيشُ والمَعِيشةُ: ما يُعاشُ به، وجمع المَعِيشة مَعايِشُ على القياس، ومَعائِشُ على غير قياس. وفي التنزيل: وجعَلْنا النهار مَعاشاً؛ أَي مُلْتَمَساً للعَيْشِ. والتعَيُّشُ: تكلُّف أَسباب المَعِيشة. والعَيْش: المَطْعمُ والمَشْرَبُ وما تكون به الحياة[2]. والتعايشُ: مصدر تعايَشَ، وهو عيشٌ مشترك بين أقوام يختلفون مذهبا أو دينا أو بين دول ذات مبادئ مختلفة [3].

وأما كلمة "السِّلمي" فهي من السِّلْمِ والسَّلامِ والسَّلامَةِ، أي: الْبَرَاءَةُ. وتَسَلَّمَ مِنْهُ: تَبَرَّأَ. وَقَالَ ابْنُ الأَعرابي: السَّلامةُ: الْعَافِيَةُ، والسَّلامةُ: شَجَرَةٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً، مَعْنَاهُ تَسَلُّماً وَبَرَاءَةً لَا خَيْرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ولا شر. والسَّلامُ فِي الأَصل: السَّلامةُ، يُقَالُ: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً وسَلامةً، وَمِنْهُ قِيلٌ لِلْجَنَّةِ: دار السَّلامِ لأَنها دار السَّلامةِ مِنَ الْآفَاتِ. والسَّلَمُ: الاسْتِسْلامُ. والتَّسالُمُ: التَّصالُحُ. والمُسالَمَةُ: المُصالحة. والسَّلْمُ: الِاسْتِخْذَاءُ وَالِانْقِيَادُ والاسْتِسْلامُ. والتَّسْلِيمُ: بَذْلُ الرِّضَا بِالْحُكْمِ. والسِّلامُ، بِكَسْرِ السِّينِ: الْحِجَارَةُ الصُّلْبَةُ، سُمِّيَتْ بِهَذَا سَلاماً لِسَلَامَتِهَا مِنَ الرَّخَاوَةِ.[4]

اصطلاحا:

إنّ التعايش السلمي اصطلاحا لا يبتعد عن مدلوله اللغوي، وله تعريفات كثيرة، نذكر منها الآتي:

---

[1] صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، ص: 10.

[2] لسان العرب، 06 / 321 - 322، مادة " عيش ".

[3] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 2 / 1583.

[4] المرجع نفسه، 12 / 289 وما بعدها، مادة " سلم ".

التعايش السلمي هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش - أي الحياة - فيما بينهما وفق قاعدة يُحدِّدانها وتمهيد السُّبُل المؤدّية إليه، إذْ أنّ هناك فارقا بين أن يعيش الإنسان مع نفسه، وبين أن يتعايش مع غيره، ففي الحالة الأخيرة يقرر المرء أن يدخل في عملية تَبَادُلِيَّةٍ مع طرفٍ ثانٍ أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول مصالح أو أهداف أو ضرورات مشتركة[1]. وأول من أطلق شعار "التعايش السلمي" بين الأنظمة السياسية المختلفة هو نيكيتا خروتشوف[2] الذي كان لا يعني به تراجع بلده الاتحاد السوفياتي عن تحقيق أهدافه المعلنة بقدر ما كان يعني به محاولته تحقيق تلك الأهداف بطريقة تنسجم مع مقتضيات التّغيّرات التي طرأت على المسرح الدولي كوجود ما يُعرف بتوازن الرعب، إلا أنّ الغربَ يُؤْثِرُ أن يكون المقصود بالتعايش السلمي هو ما يُطلقُ عليه: "عِشْ ودَعْ غيرَكَ يَعِشْ أيضا".[3]

والتعايش السلمي هو تعاونٌ بين دول العالم على أساسٍ من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والثقافية، وقد ظهر هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم إلى معسكريْن كبيريْن، أحدهما رأسمالي غربي والثاني اشتراكي شرقي راحا يتناحران على سيادة العالم على أساس عقائدي مذهبي، وممّا ساعد على إبراز الدّعوة إلى سياسة التّعايش السلّمي الفزع الذّرّي بعد أن أصبحت القنبلة النّووية وهي أداة الدّمار الشّامل مشاعا بين دول المعسكرين.[4]

والتعايشُ كلمةٌ تعني العيش المشترك مع الآخرين ولا يكون التعايش إلا بوجود الأُلْفَةِ وسُداها المودة والثّقة[5]، بوجود وسائل العيش من المَطْعم والمَشْرب وأساسيات الحياة بِغَضِّ النّظر عن الدين والانتماءات الأخرى يُعرف كل منهما بحقّ الآخر دون اندماج وانصهار[6]

.

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، ص: 78.

[2] نيكيتا خروتشوف (1894 - 1971 م): زعيم شيوعي ورجل دولة سوفييتي، حكم الاتحاد السوفييتي من 1953 إلى 1964 م، وتميّز حكمه بالمعاداة الشديدة للستالينية وبإرساء الدعائم الأولى لسياسة الانفراج الدولي والتعايش السلمي. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، 2 / 611.

[3] الحوار من أجل التعايش، ص: 78. وينظر: موسوعة السياسة، 2 / 613.

[4] أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص: 310.

[5] هاني المبارك وشوقي أبو خليل، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ص: 12.

[6] صبحي أفندي الكبيسي، عبد الله حسن حميد الحديثي، الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، ص: 324.

الفصل الأول: العلوم الإسلامية بين النظرية والتطبيق:

إن العلوم الإسلامية مرت بالمرحلة النظرية عندما بدأت في فهم النصوص الشرعية في الكتاب والسنة مع الاستعانة بالعلوم الأخرى مثل: الطب والفلك والصيدلة، وهذا ما مكنّها للمرور بسلاسة إلى مرحلة التطبيق ثم الانتشار في الأقطار التي وصلها الإسلام.

إن انتشار العلوم الإسلامية في العالم لم يكن ليحدث لولا الأسس المتينة التي اعتمدت عليها، والأهداف الإنسانية النبيلة التي حملتها للناس أجمعين، وسنتطرق هنا لبعض هذه الأسس والأهداف.

المبحث الأول: أسس العلوم الإسلامية وأهدافها:

المطلب الأول: أسس العلوم الإسلامية:

أ – الإسلام:

لقد انفرد الإسلام من بين سائر الأديان بالحث على طلب العلم ونشره بين الناس، فأول ما أُنزل من القرآن الكريم: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ ﴾ [العلق: 1– 4]، وأيضا قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ ﴾ [الزمر: 9]، وقال أيضا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ ﴾ [الأنبياء: 7]، وقد حذّر الإسلام كل شخص يكتم العلم ولا يسعى لنشره، وفي هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "مَنْ سُئِلَ عنْ علمٍ فكتمهُ، أُلْجِمَ يومَ القيامةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ"[1]، وبهذا التحفيز الديني انتشرت العلوم الإسلامية وحلّت حيثما حلّ الإسلام والمسلمون.

ب – العدل والمساواة:

اعتمدت العلوم الإسلامية على العدل والمساواة في نشر العلوم على كافة الناس دون تمييز عرقي (عربي أو أعجمي) أو طبقي (غني أو فقير)، بل كانت الفئة المستفادة من هذه العلوم هي فئة الفقراء نظرا لتسهيلات التعليم التي كانت تُمارس على مستوى المساجد والمعاهد والمدارس القرآنية.

[1] ابن ماجه، السنن، (المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه)، رقم الحديث: 264، 1 / 97.

ج – تشجيع خلفاء المسلمين للعلم والعلماء:

لقد حرص خلفاء المسلمين في كل عصور الخلافة الإسلامية على نشر العلم ورفع منزلة العلماء وتقريبهم منهم، وتنصيبهم في المناصب الحساسة، كالقضاء والإمامة والخطابة، وقد دأب الخلفاء على تخصيص الأموال لسد حاجيات المعلمين وبناء الإقامات لطلبة العلم والمعاهد والمكتبات، ولعل أشهر المكتبات هي بيت الحكمة التي بناها الخليفة العباسي هارون الرشيد، وازدهرت في عصر الخليفة المأمون، إذ ازدهرت الترجمة إلى العربية من خلال ترجمة الكتب اليونانية في العلم والفلسفة.

د – الاستفادة من الثقافات الأخرى:

إن العلوم الإسلامية لم تكن منطوية على ذاتها، بل كانت منفتحة على علوم الأجناس الأخرى وثقافاتها المختلفة مثل الفرس والروم، من منطلق " الكلِمةُ الحِكْمةُ ضالَّةُ المؤمِنِ، حيثما وجدَها، فهو أحقُّ بها"[1]، وهذا الانفتاح على ثقافة الآخر عبر جسر الترجمة ساعد المسلمين في الاستفادة من علوم ومعارف الأجناس الأخرى ونقلها إلى الحاضنة العربية، ولم يكتفوا بالنقل فقط، بل أضافوا وشرحوا ما كان غامضا حتى أبهروا كل من لحق بهم في الحركة العلمية، خاصة بعد فتح الأندلس.

المطلب الثاني: أهداف العلوم الإسلامية:

إن للعلوم الإسلامية أهدافا كثيرة، منها:

- الدعوة إلى توحيد عبادة الله الواحد
- تكوين علماء متمكّنين، كالفقهاء والمحدّثين والقضاة والأئمة؛ لتعليم الناس دينهم والإجابة عن تساؤلاتهم في مختلف المجالات: مثل العبادات والكفّارات والحدود والميراث والزواج والطلاق ..الخ
- توحيد المسلمين على كلمة واحدة انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- تقوية الوازع الديني لدى الأفراد والجماعات وحمايتهم من الوقوع في المعاصي والمنكرات.
- تنظيم حياة الناس وفق الشريعة الإسلامية مع إيجاد حلول للنوازل والحوادث التي لم تكن في أسلافنا الأولين.
- نشر تعاليم الإسلام والقيم الأخلاقية التي جاءت لخدمة الإنسانية والبيئة والرفق بالحيوان.

[1] المرجع نفسه، (كتاب الزهد ، باب الحكمة)، رقم الحديث: 4169، 2 / 1395.

المبحث الثاني: نشأة العلوم الإسلامية ومميزاتها:

المطلب الأول: نشأة العلوم الإسلامية:

لقد نشأت العلوم الإسلامية في حضن الإسلام، إذْ أول ما أُنزل من القرآن كان مشجعا لطلب العلم، يقول الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق: 1– 5]، ويقول أيضا: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ ﴾ [الأنبياء: 7].

وبعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة اهتم المسلمون بتعلم القرآن وحفظه والتأسي بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام، والذي كان "يجلسُ لأصحابه بالمسجد ليعلِّمَهم الدين، ويرشدَ السائلين، ويؤدِّبَ ويُحدِّثَ عن الأنبياء السابقين، ويُحدِّدَ للناس سيرة نظامهم، ويوصي ولاة الأمور ويكتبَ للأمراء، ويُعلِّمَهم مواقع السيرة الرشيدة "[1].

وفي هذه الفترة أصبحت المدينة المنورة مركزا علميا للعلوم الشرعية مُشِعًّا "في مدن البلاد الإسلامية: مكّة والكوفة ودمشق، حيث حلّ بها جماعات من الصحابة، وكانت بقية بلاد الإسلام آخذة من ذلك ما يبلغ إليها وينقل مما تجري به الأحكام بين أهلها "[2].

بعد ظهور حركة التدوين والكتابة (في العصر الأموي بِقِلَّةٍ، والعصر العباسي بِكَثْرَةٍ) انتشرت العلوم الإسلامية بكثافة، حيث دُوِّن الحديث والفقه وأصول الفقه واللغة والأدب وعلوم البلاغة والتاريخ والأخبار والفلسفة، وفي هذا يقول الذهبي: "في سنة ثلاث وأربعين: شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير؛ فصنَّف ابن جريج بمكة، ومالك" الموطأ " بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعْمَر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنَّف ابن إسحاق " المغازي"، وصنَّف أبو حنيفة الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنَّف هشيم والليث وابن لهيعة، ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب، وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة"[3].

---

[1] الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص: 24.

[2] المرجع نفسه، ص: 25.

[3] جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص: 424.

المطلب الثاني: مميزات العلوم الإسلامية:

أ – الدعوة إلى وحدانية الله تعالى:

إن العلوم الإسلامية استمدت علومها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهم دعامتا الإسلام، فحيثما انتشر الإسلام انتشرت معه العلوم الإسلامية، والتي عملت في تفسير النصوص الشرعية وتقريبها للناس أجمعين، وبهذه الخطوات ساهمت هذه العلوم في نشر التوحيد وتقريب العباد إلى خالقهم، وتصحيح العقيدة من الخرافات، والترغيب في الطاعات والعبادات، والترهيب من المعاصي والمنكرات.

ب – اللغة العربية:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وبها كُتبت العلوم الإسلامية، رغم أن كثيرا من علماء المسلمين أصولهم أعجمية (فارسية، كردية، تركية،...) مثل: ابن سينا والزمخشري وسيبويه، وابن الصلاح الشهرزوري وابن الأزرق الفارقي، وداود الأنطاكي وأكمل الدين البابرتي، فهؤلاء العلماء الأعاجم لم يكتبوا علومهم بلغاتهم الأصلية، بل اختاروا اللغة العربية وعاءً لعلومهم، فهي من أهم الأدوات التي وظّفوها في فهم آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

ج - تكامل العلوم وغزارتها:

من مميزات العلوم الإسلامية أنها غزيرة العلم ومتكاملة فيما بينها، بعضها آخذٌ بِرِقَابِ بعض، حيث نجد تداخلا بين علوم اللغة وعلوم الفقه والحديث والأصول والكلام، ويظهر هذا التداخل عندما نقرأ تراجم علماء المراحل الأولى، إذْ يوصف أحدهم بالعالِم الحافظ الفقيه المُحدِّث اللغوي الأديب... إلخ، فهذه الغزارة في العلم والتكامل بين مختلف التخصصات العلمية أنتجت ما يُسمى بالعلماء الموسوعيين، وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي: " أن لا يدع طالبُ العلم فنًا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطَّلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحّر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية؛ فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض، ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله؛ فإن الناس أعداء ما جهلوا ... فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى، أو معينة على السلوك نوعاً من الإعانة، ولها منازل مرتّبة في القرب والبعد من المقصود، والقوّام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى"[1].

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 1 / 64.

الفصل الثاني: العلوم الإسلامية عند مالك بن نبي وروجيه غارودي:

المبحث الأول: العلوم الإسلامية عند مالك بن نبي:

المطلب الأول: ترجمة مالك بن نبي[1]:

أ - **نسبه:** هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي.

ب - **مولده:** ولد مالك بن نبي في مدينة قسنطينة في الثامن والعشرين من كانون الثاني/ يناير من سنة 1905م.

ج - **نشأته:**

نشأ مالك بن نبي في أسرة متدينة ومحافظة، من أسرة تتكون من: الأب والأم ووالدتها، والأولاد: مالك وأختيه. وكانت الأسرة تسكن في مدينة تبسة، وتعيش في بيئة تقرب من البداوة. كانت أمه تعمل في الخياطة، بينما عمل أبوه موظفا بسيطا في الإدارة الحكومية في تبسة.

نشأ مالك بن نبي في أسرة دينية وفقيرة، حيث أرسلته أسرته إلى الكُتَّاب لحفظ القرآن الكريم، ويروي مالك أنه في يوم من الأيام اضطرت والدته أن ترهن في مقابل أجرة تعليمه سريرها. واستمر مالك في تبسة مع والديه، إلى أن انتقل إلى قسنطينة لمتابعة دراسته بها. وظل ينتقل بين فرنسا والجزائر، إلى أن استقر بمصر سنة 1956 م، ولم يرجع بعدها إلى فرنسا، وافترق عن زوجته خديجة. وفي أواخر الخمسينات تزوج بزوجة ثانية، وبقي في مصر يؤلف ويحاضر إلى سنة 1963م، وبعدها رجع إلى الجزائر واستقر بها إلى أن وافته المنية.

د - **وفاته:**

في سنة 1972م قام بأداء فريضة الحج وأثناء رحلته إلى مدينة الأغواط في الجزائر حيث كان يلقي بعض المحاضرات هناك، اشتد به المرض وكان قد أصابه السرطان في البروستات، فسافر لباريس للعلاج، ثم اشتد عليه المرض فنصحه الطبيب المعالج أن يعود إلى بلاده، فعادوا به إلى الجزائر، وبعد ثمانية أيام توفي في31 أكتوبر1973م، بعد عمر يناهز 68 عاما. وتم تشييع جثمانه بمقبرة سيدي محمد، وغاب عن جنازته المسئولون، وذرف الطلبة الدموع على وفاته رحمه الله.

---

[1] حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، ص: 28 وما بعدها. عبد_القادر بنقدور، (11 جوان 2020)، حياة مالك بن نبي: نسبه ومولده ونشأته ووفاته: https://www.islamanar.com/life-malek-bn-nbi/. تاريخ الزيارة: 14/ 01/ 2022.

هـ - رحلته في طلب العلم:

إن أبرز ما ميز شخصية مالك بن نبي: حب القراءة وطموحه في طلب العلم، وصبره ومثابرته في اقتحام العقبات، وتأمله في الواقع والتفكير فيه بغية حل مشكلاته المختلفة. فقد نشأ في أسرة إسلامية محافظة غرست فيه معاني الرجولة والفضيلة، وحب العلم والتعلم، والنفور من الشر والضلال، وسلحته بالإيمان والصبر واليقين في الله تعالى. ففي تبسة تلقى مالك تكوينه الأول، حيث كان يسكن مع والديه ومنهما استمد تكوينه العلمي والفكري، فكانت الأسرة والمسجد والمدرسة من مصادر تكوينه العلمي. وقد حرصت أسرة مالك بن نبي على تربيته وتنشئته ورعايته وذلك من خلال:

هـ - 1 - الأساس التزكوي الإيماني: لقد حرص أب وأم مالك بن نبي على تزكية نفسه بحب الخير وغرس الفضيلة في نفسه، وتجديد الايمان في قلبه. يقول مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية:" إلى روح أمي، إلى أبي: الوالدين اللذين قدما لي في المهد أثمن الهدايا: هدية الإيمان"[1]. فقد حرصا على تربية مالك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وتربيته بالتوجيه والارشاد وبالقدوة الحسنة. فقد كان الأب والأم يفرضان احترامهما وهيبتهما في المنزل.

هـ - 2 - الأساس العلمي والفكري: لقد حرص والدا مالك بن نبي على تعليم ابنهما، فألحقاه بالكُتّاب القرآني، ثم بالمدرسة الوحيدة في البلد حينما أتيحت له الفرصة، وحرصا فيما بعد على أن يدفعا به في الطريق العلمي، فأرسلاه إلى قسنطينة، ومن بعد إلى فرنسا[2]. كما كانت جدته لأمه من مصادر تكوينه، فكانت تصب تأثيرها على نفسه من خلال القصص الي كانت تحكيها لأحفادها، والتي تعتبر دروسا في التربية والأخلاق. يقول مالك بن نبي: " وفي هذا الوسط الجديد في عائلة مفرطة في الفقر أخذتُ أتعرّف إلى جدّتي لأمي، وسمعتُ الكثير من أقاصيصها وحكاياتها التي محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب، وعمل السوء وما يتبعه من عقاب. وكانت هذه الأقاصيص الوَرِعَةُ تعمل على تكويني دون أن أدري، فمنها عرفتُ أنّ الإحسان في مرتبة عليا من الخُلُق الإسلامي. وإحدى حكاياتها عن الإحسان جعلتني وأنا ابن السادسة أو لسابعة من عمري، أقوم بعمل ربما كان على ما أعتقد أسمى ما قمتُ به في حياتي"[3].

---

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 07.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ص: 19 - 24.

[3] المرجع نفسه، ص: 19.

وبعد إنهاء دراسته الثانوية سنة 1925م، سافر إلى فرنسا عام 1930م ليُتِمَّ دراسته العليا في معهد الدراسات الشرقية ولكنه لم يوفق في دخول المعهد. وفي تلك الفترة سجل اسمه في مدرسة الكهرباء والميكانيك، قسم اللاسلكي للحصول على درجة مساعد مهندس، وكان أحد الطلبة الناشطين في مجموعة: " وحدة طلبة الشمال الافريقي المسلمين". وفي نفس السنة 1930م بدأ مالك أولى محاضراته: " لماذا نحن مسلمون"، وبعد ذلك لجأ الاستعمار الفرنسي إلى مضايقته هو وعائلته، حيث تم طرد والده من العمل.

كان لمالك بن نبي دور في إنشاء بعض الأحزاب منها: حزب نجم شمال افريقيا، وقام بتوزيع منشورات جمعية العلماء الجزائريين بفرنسا. كما قام بالانخراط في جمعية الشباب المسيحي، فاستطاع التعرف على أفكارهم، ويظهر ذلك جليا من خلال كتابه الظاهرة القرآنية، حيث كان يقارن بين آيات القرآن ونصوص الانجيل. وفي فرنسا توجه إلى دراسة الفلسفة وعلم الاجتماع والهندسة، وفي أحد المعاهد بباريس تخرج مهندسا كهربائيا سنة 1935 م. ثم سافر مالك بن نبي إلى القاهرة عام 1956 م وفيها التقى بعلماء الأزهر والأدباء والمفكرين المصريين، وبدأ يعيد صلته باللغة العربية، وبدأ يلقي الندوات والمحاضرات الفكرية. وأخذ مع بعض أصدقائه التحضير للثورة الجزائرية.

عاد مالك بن نبي إلى الجزائر بعد نجاح الثورة عام 1963م. وتفرغ لنشاطه الفكري من التأليف والنشر وإلقاء الندوات والمحاضرات الأسبوعية في بيته.

و- مؤلفاته الفكرية والاصلاحية:

ألّف مالك بن نبي ما يزيد عن العشرين كتابا ما بين سنتي: 1946 و1973م، منها ما كُتِبَ باللغة الفرنسية، ومنها ما كُتِبَ باللغة العربية، وقد تم ترجمة ما كتبه بالفرنسية إلى العربية، وقد طبع كثيرا منها في القاهرة ودمشق والجزائر. وجاءت كتبه للإجابة عن الإشكالية الحضارية، فبين شروط النهضة، وتحدث عن المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وسبل تجاوز التخلف الحضاري.

من أشهر مؤلفات مالك بن نبي ما يلي:

- الظاهرة القرآنية (1946م)، وهو أول مؤلف له وقد كتبه مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ويتناول مركزية الإنسان في الكون والغاية من استخلافه، ومفهوم النبوة وأصول الإسلام، والرسول، وظاهرة الوحي وقضايا تتعلق بالقرآن الكريم.
- لبيك (1947م)، وهو عبارة عن قصة أدبية.

- شروط النهضة (1948م)، ويُعد من أهم مؤلفاته وتناول فيه حركة التاريخ والحضارة، وعلاقة الدين والأخلاق والثقافة بقيام الحضارة أو سقوطها، كما يتناول دور الفكرة الدينية وعلاقتها بالحضارة.

- وجهة العالم الاسلامي(1954م)، وكتبه في بداية قيام الثورة الجزائرية، ويتناول فيه الفوضى والأزمات التي يعيش فيها العالم الإسلامي، وسبل نهضته. وهو آخر ما كتبه بفرنسا قبل أن يسافر إلى مصر ويقيم بها.

ومن أهم ما كتبه وهو مقيم بمصر ما يلي:

- فكرة الإفريقية الآسيوية(1956م)
- مشكلة الثقافة ، أنقذوا الجزائر، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (1957م)
- البناء الاجتماعي الجديد ، فكرة كومنولث إسلامي (1958م)
- تأملات في البناء الجديد، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ميلاد مجتمع (1960م)
- في مهب المعركة (1961م)

وأثناء عودة مالك بن نبي إلى الجزائر واستقراره بها كتب المؤلفات الآتية:

- آفاق جزائرية (1964م)
- مذكرات شاهد القرن الجزء الأول – الطفل- وهو سيرة ذاتية (1965م)
- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. (1967م)
- الإسلام والديمقراطية (1968م)
- مذكرات شاهد القرن الجزء الثاني - الطالب- (1970م)
- المسلم في عالم الاقتصاد (1972م)
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (1973م)
- بين الرشاد والتيه، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات جمعت وطبعت بعد وفاته سنة 1978 م.

ومن مؤلفاته أيضا:

- النجدة: الشعب الجزائري وهو بيان صدر سنة 1957 م بالقاهرة
- حديث في البناء الجديد ظهر في بيروت سنة 1960م
- الصعوبات علامة النمو في المجتمع العربي ظهر بالقاهرة سنة 1960م
- الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال برسائل العلم ظهر بالقاهرة سنة 1960م
- تأملات في المجتمع العربي ظهر بالقاهرة سنة 1961م

المطلب الثاني: مالك بن نبي والعلوم الإسلامية:

إن علاقة مالك بن نبي بالعلوم الإسلامية علاقة قوية وقديمة، بدأت منذ طفولته عندما التحق بالكُتّاب لحفظ القرآن الكريم، ثم بالمسجد الذي تعلّم فيه علم النحو والصرف وعلم الكلام والسيرة النبوية، وعندما اشتدّ عودُه أصبح كثير المطالعة حيث يستعير الكتب من المكتبات، كمكتبة النجاح ومكتبة المدرسة[1]. فقد كان تكوينه الثقافي متنوعا ومتعددا، ومنْ يقرأ كتبه (مثل: الظاهرة القرآنية، شروط النهضة،...) يتضح له أنّه اطّلع على كتب تفسير القرآن والسيرة النبوية والشعر والأدب واللغة والإعجاز والفكر والفلسفة. ولعل أبرز كتاب ظهر فيه ما تقدّم ذكره هو "الظاهرة القرآنية"، وهو أوّلُ مؤلَّفٍ له كتبه مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (1946)، ويتناول مركزية الإنسان في الكون والغاية من استخلافه، ومفهوم النبوة وأصول الإسلام، والرسول، وظاهرة الوحي وقضايا تتعلق بالقرآن الكريم.

لقد اهتم مالك بن نبي بالعناصر المكوّنة للحضارة، مثل الدين والثقافة والمزج بين الروح والمادة والتاريخ، لكن عنصر الدين أخذ حصة الأسد من اهتمامه؛ لِما له من تأثير في حياة معتنقيه، فالدين يقوم على التوجيه الأخلاقي والمزاوجة بين الروح والمادة، وهذا ما يضمن التوازن الفكري والحضاري لكل إنسان.

أ - عنصر الدين:

إن الحضارة عند مالك بن نبي ترتكز على عنصر الدين، وعندما نذكر الدين، نذكر العلوم الإسلامية التي انبثقت منه، مثل: علم التفسير والفقه والأصول والعقيدة وعلم الكلام واللغة والأدب والتاريخ، وفي هذا يقول: "أما الإسلام فإنه يمنح الإنسان قيمة تفوق كل قيمة سياسية أو اجتماعية، لأنها القيمة التي يمنحها له الله في القرآن في قوله: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[الإسراء:70]، فهذا التكريم يكون - أكثر من الحقوق أو الضمانات- الشرط الأساسي للتغيير اللازم في نفس الفرد... فالإنسان الذي يحمل بين جانبيه الشعور بتكريم الله له، يشعر بوزن هذا التكريم في تقديره لنفسه وفي تقديره للآخرين"[2]. ويقول أيضا: "في ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكم في تطوّرها. والدين على ما يبدو وكأنّه مطبوع في النظام الكوني، قانونا خاصا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من

[1] مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، ص: 31 وما بعدها. عبد القادر بنقدور، حياة مالك بن نبي: https://www.islamanar.com/life-malek-bn-nbi/، تاريخ الزيارة: 14/ 01/ 2022.

[2] مالك بن نبي، تأملات، ص: 77 - 78.

الإسلام الموَّحِد إلى أحط الوثنيات البدائية حول مركز واحد، يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار إلى الأبد "[1].

يُعدُّ الدين الباعث الحقيقي للحضارة، بحيث تقوم أُسُسُه في توجيه الناس نحو المعبود، يقول مالك بن نبي: "الحضارة لا تنبعث – كما هو ملاحظ - إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها، ولعله ليس من الغلو في شيء أن يجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية، وفي البرهمية نواه الحضارة البرهمية. فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجا، أو هي- على الأقل- تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام، فكأنما قُدِّرَ للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية، أو بعيدا عن حقبته إذْ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة، يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته، وتتفاعل معها. ومن هنا يستطيع المؤمن إدراك الحقيقة الساطعة التي يفسرها التاريخ، في الفقرة التي وردت في أحد الكتب المُنَزَّلة القديمة: "في البدء كانت الروح" [2].

إن الدين الإسلامي كرّم الإنسان وأرشده إلى مكارم الأخلاق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وضع له حواجز حتى لا يقع في الهاويات المُهلكات التي تهدده وتهدد رسالته الحضارية، مثل العبودية والاستعباد، وفي هذا يقول مالك بن نبي: "إن الإسلام الذي وضع في نفسية المسلم هذا التوجيه العام، قد وضع عن طريقه - يمينا وشمالا - حاجزيْن، كيلا لا يقع في هاوية العبودية أو هاوية الاستعباد"[3]. وهذان الحاجزان مذكوران في القرآن الكريم، أما الحاجز الأول "الاستعباد"، ففي قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣ ﴾[4]. وأما الحاجز الثاني "العبودية"، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾[5].

إن اهتمام مالك بن نبي بعنصر الدين مرتبط بما يقدّمه هذا الأخير للإنسان، فقد منحه قيمة تفوق كل قيمة سياسية أو اجتماعية، إنها قيمة التكريم ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ آدَمَ﴾[6]، فهذا التكريم يكون الشرط الأساسي للتغيير اللازم في نفس الفرد المُقدِّر لنفسه

[1] الظاهرة القرآنية، ص: 300.
[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص: 50 – 51.
[3] تأملات، ص: 78.
[4] القصص، الآية: 83.
[5] النساء، من الآية: 97.
[6] الإسراء، من الآية:70.

وللآخرين[1]. ومع ما يدعم شعوره بهذا التكريم العام الذي مُنِحَهُ بوصفه إنسانا، فإنه يشعر بتكريم خاص، قد مُنِحَهُ بوصفه مؤمنا في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]، وهذه العزّة الموهوبة للمؤمن لا تعرضه للكبرياء؛ لأنها لا تعني المجد التالف المتصل بالأشياء المادية، بل هي العزّة في سُموِّ الأخلاق، وعُلوِّ الهمّة.[3]

ب - عنصر المزج بين الروح والمادة:

إن الحضارة الإسلامية رسالة روحية تقوم على فكرة دينية حددت مسار الإنسان ومصيره جعلته مرتبطا بوجود الله، عكس الحضارة الأوروبية التي تفوّقت في عالم الاكتشافات والعلوم وأخفقت في العالم الروحي، يقول مالك بن نبي: "إن أوروبا حقّقت المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم، ولكنّها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان يُرَوِّحُ عليها ويُرَقِّهُ عنها ويسندها في وقت المحن، لأنه يربطها بوجود الله. إذا أراد المسلم أن يسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، النفوس المنتظرة للمسوّغات الجديدة، فيجب أولا أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود، إلى ربانية الوجود، ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله، والمسلم إذا أتى بهذا لا بلسانه ولا بشطحاته الصوفية، وإنّما بوصفه إنسانا معاصرا للناس شاهدا عليهم بالتُّقى والورع، بنزاهة الشاهد الصادق، الصادق الخبير، الواعي لقيمة شهادته، إذا أتى المسلم هكذا في صورة الإنسان المتحضر، الذي اكتملت حضارته بالبعد الذي يضيفه الإسلام إلى الحضارة "وهو بعد السماء" عندئذ ترتفع الحضارة كلها إلى مستوى القداسة، أي إن الوجود الذي فقد القداسة في القرنين الأخيرين خصوصا في هذا القرن، تعود إليه قداسته؛ لأن القداسة من الله ومن الله وحده، ولا شيء يعطي القداسة لهذا الوجود غير الله"[4]. ويقول أيضا: "ما كان لحضارة أن تقوم إلاّ على أساس من التّعادل بين الكم والكيف، بين الرُّوح والمادة، بين الغاية والسّبب، فأينما اختلّ هذا التّعادل في جانبٍ أو آخر كانت السّقطة رهيبة قاصمة"[5]. وهو هنا يشير إلى الحضارة الغربية التي أفرطت في المادية وأهملت الجانب الروحي، "فالرّوح وحده، هو الّذي يُتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيثما فُقِدَ الرُّوح سقطتِ الحضارة وانحطتْ، لأن من يفقد القُدرة على الصُّعود لا يملك أن يهوي بتأثير جاذبية الأرض "[6].

---

[1] تأملات، ص: 77 - 78.

[2] المنافقون، من الآية: 08.

[3] تأملات، ص: 78 - 79.

[4] مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص: 39 - 40.

[5] مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص: 169.

[6] المرجع نفسه، ص: 31.

إن البعد الروحي في الحضارة الإسلامية عمل على ربْط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وفي هذا يقول مالك بن نبي: "هذه الروح الخُلقية منحة من السماء إلى الأرض، تأتيها مع نزول الأديان، عندما تولد الحضارات، ومهمّتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض، كم يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[الأنفال: 63]"[1]. ويقول أيضا: "إن روح الإسلام هي التي خلقتْ من عناصر متفرقة، كالأنصار والمهاجرين، أوّلَ مجتمع إسلامي، حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه، بعد أن يطلّقها له، لكي يبني بذلك أسرة. إن قوة التماسك الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام... وقوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة، وفي يدها - ضمانا لذلك - تجربة عمرها ألف عام، وحضارة ولدت على أرض قاحلة، وسط البدو، رجال الفطرة والصحراء"[2].

وخلاصة القول: إن الفرد في المجتمع المسلم لا يستطيع أن يؤدي دوره الحضاري إلا إذا زاوج بين حياته المادية والروحية، فلا ينعزل عن العالم الذي يعيش فيه غير آبِهٍ بالوسائل المادية المُحقّقة لرفاهية العيش، هذا من جهة، ولا يتخلى عن مجموعة القيم ومكارم الأخلاق المُحقّقة لراحة الضمير – أي الجانب الروحي - من جهة أخرى، يقول مالك بن نبي: "رسالة الإنسان في الحياة الاجتماعية أن يكون عاملا نفسيا زمنيا، فهو لا يؤثر فيها طبقا لوجوده الزمني فحسب، أعني تبعا لحاجاته المادية، بل إنه يؤثر طبقا لوجوده النفسي، أعني طبقا لحاجاته الروحية، وتلك هي حقيقة الإنسان كاملة، وهي ما ينبغي أن ندركه لنتناوله كُلًّا غير مُتَجَزّئٍ، فما كان لنا أن نحدّد شروط تغييره لو غاب عن أعيننا أحد هذين الجانبين: الروحي أو الزمني [أي المادي]"[3].

[1] شروط النهضة، ص: 88.

[2] المرجع نفسه، ص: 90.

[3] وجهة العالم الإسلامي، ص: 155.

المبحث الثاني: العلوم الإسلامية عند روجيه غارودي:

المطلب الأول: ترجمة روجيه غارودي[1]:

روجيه غارودي أديب ومفكر وفيلسوف فرنسي بارز، وُلد في مرسيليا عام 1913 م لأبوين بروتستانتيين، اعتنق الماركسية في شبابه، نال شهادة دكتوراه في الفلسفة عام 1953 م، وتدرّج في الحزب الشيوعي حتى صار عضوا باللجنة المركزية للحزب ودخل مكتبه السياسي عام 1956 م، تخلّى عن الشيوعية وألّف كتابا في نقدها بعد أن اتّضح له زيفها وقصورها وعاد إلى الدين المسيحي باحثا عن الحقيقة.

شغل روجيه غارودي عدة مناصب في فرنسا: كان نائبا في البرلمان من عام 1945 – 1951، ثم رئيسا للمجلس الوطني الفرنسي من 1956 – 1958، ثم عضوا في مجلس الشيوخ من عام 1959 – 1962، أسس مركز الدراسات والأبحاث الماركسية وأشرف على إدارته ونظّم "أسابيع الفكر الماركسي" قبل أنْ يُطرد من اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب عام 1970 بتهمة "التحريفية اليمينية". شارك عام 1976 في "المؤتمر الفكري حول الصهيونية "الذي عُقد في بغداد وقدّم دراسة حول " الذرائع التاريخية والدينية للصهيونية".

كشف غارودي كُنْهَ المسيحية والكنيسة وارتباطها بأحلام الصهيونية وتضليلها، وبعد دراسة متأنّية أعلن تركه للمسيحية ودخوله في الإسلام، فكان ذلك أشبه بزلزال أحدث ضجيجا هائلا في العالم الغربي بشكل عام وفي فرنسا بشكل خاص، وتمَّ إعلان إسلام غارودي في 11 رمضان سنة 1402 هـ (02 جويلية 1982م) عن قناعة تامة، وبعد 40 عاما من المطالعة والتفكير والمعاناة، واستبدل اسمه روجيه ب ."رجاء"، وتزوّج من فتاة عربية فلسطينية مسلمة من عائلة معروفة واسمها " سلمى نور الدين الفاروقي ".

ألّف غارودي كتبا تجاوزت العشرين في معالجة قضايا الإسلام والحضارة الغربية، وأصبح معروفا في جميع الأوساط الإسلامية لمكانته وثقافته وإيمانه بأن الإسلام هو الحل الأمثل لمشاكل البشرية.

[1] روجيه غارودي، لماذا أسلمت ؟، ص: 15 وما بعدها. روجيه غارودي، الإسلام - هو الحل الوحيد للأزمات، ص: 6 - 7. موسوعة السياسة، 4 / 279.

أ - قصة إسلامه:

إن سبب إسلام روجيه غارودي يعود إلى تاريخ مارس 1941م عندما كان سجيناً في الجزائر (منطقة الجلفة تحديدا) من قِبَل الألمان النازيين، وكان برفقة 500 مناضل قاموا بعصيان في السجن، وفي هذا يقول غارودي: "الرابع من مارس سنة 1941م، كنا زُهَاء 500 مناضل من المعتقلين والمسجونين لمقاومتنا الهتلرية، وكنا هجرنا إلى جلفة في جنوب الجزائر، وكانت حراستنا بين الأسلاك الشائكة في معسكر الاعتقال مدعومة بتهديد رشاشين، وفي ذلك اليوم -بالرغم من أوامر القائد العسكري وهو فرنسي- نظمنا مظاهرة على شرف رفاقنا من قدامى المتطوعين في الفرق الدولية الإسبانية، وقد أثار عصياننا حفيظة قائد المعسكر، فاستشاط غضبًا وأنذرنا بأنه سيأمر بإطلاق النار إذا لم نعد على الفور إلى خيامنا، وقد أنذرنا ثلاثًا، ومضينا في عصياننا، فأمر حاملي الرشاشات - وكانوا من جنوب الجزائر - بإطلاق النار، فرفضوا، وعندئذٍ هددهم بسوطه المصنوع من طنب البقر، ولكنهم ظلُّوا لا يستجيبون، وما أجدني حيًّا إلى الآن إلا بفضل هؤلاء المحاربين المسلمين"[1]. ويضيف غارودي: "كانت المفاجأة عندما رفض هؤلاء تنفيذ إطلاق النار، ولم أفهم السبب لأوَّل وهلة؛ لأنني لا أعرف اللغة العربية، وبعد ذلك علمت من مساعد جزائري بالجيش الفرنسي كان يعمل في المعسكر أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل، وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام من خلال هذا الحدث المهم في حياتي، وقد علَّمني أكثر من دراسة 10 سنوات في السربون"[2]. ويقول أيضا: "عندما أُطلق سراحي، بقيت في الجزائر مدة عام، وخلاله التقيت برجل عظيم، كان له أكبر الأثر في نفسي، هو الزعيم الإسلامي الشيخ البشير الإبراهيمي – رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ... وفي مقر الشيخ الإبراهيمي لاحظت صورة كبيرة لرجلٍ مهيب، ولأول مرة أتعرّف على صاحبها، عندما شرح لي الشيخ البشير جوانب من حياة الأمير عبد القادر الجزائري – عدو فرنسا – كبطلٍ محارب، وعابدٍ ناسك، بل واحدٍ من أعظم أبطال القرن التاسع عشر... ويعتبر هذا الدرس – من الشيخ الإبراهيمي بالنسبة لي – المرة الثانية التي ألتقي فيها بالإسلام"[3]. إن هذه الأحداث تسببت في بداية رحلة المفكر الفرنسي روجيه جارودي الطويلة للتعرف على الإسلام إلى أن أشهر

[1] روجيه غارودي، حوار الحضارات، ص: 5 - 6.

[2] عظماء أسلموا، راغب السرجاني، ص: 262 - 264.

[3] دعوة التقريب بين الأديان، أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، 2 / 842 – 843.

إسلامه يوم 11 رمضان سنة 1402 هـ/ 2 جويلية 1982م، وأدى العمرة، وكان لإسلام روجيه جارودي دويٌّ هائل في الأوساط الفكرية والثقافية، وكثرت التعليقات عليه في الإذاعة والصحافة العربية والعالمية.

ب - وفاته: توفي روجيه غارودي في 13 جوان 2012م في بلدية شينفيير في سور مارن جنوب شرق باريس عن عمر يناهز 99 عاما.[1]

ج - مؤلفاته [2]:

- الإسهام التاريخي للحضارة العربية الإسلامية (1946م)
- الماركسية والأخلاق (1948م)
- المصادر الفرنسية للاشتراكية العلمية / الكنيسة والشيوعية والمسيحيون (1949م)
- النظرية المادية للمعرفة (1953م)
- الحرية (1955م)
- أسئلة موجهة إلى سارتر (1960م)
- آفاق الإنسان / مسار آراغون: من السريالية إلى العالم الواقعي (1961م)
- الله قد مات (دراسة حول هيغل) / الماركسية والوجودية (1962م)
- ما الأخلاق الماركسية (1963م)
- واقعية بلا ضفاف (1964م)
- كارل ماركس / من الحرم إلى الحوار (1965م)
- فكر هيغل / ماركسية القرن العشرين (1966م)
- المشكلة الصينية (1967م)
- من أجل نموذج فرنسي للاشتراكية / هل يمكن للمرء أن يكون شيوعيا اليوم (1968م)
- منعطف الاشتراكية الكبير (1969م)
- الحقيقة التامة (1970م)
- استعادة الأمل (1971م)
- الخيار (1972م)
- محو حتمية التاريخ / لنرقص حياتنا (1973م)
- 60 عملا تبشّر بالمستقبل (1974م)

---

[1] عظماء أسلموا، ص: 266.

[2] روجيه غارودي، نحو حرب دينية ؟ جدل العصر، ص: 191 – 195. موسوعة السياسة، 4 / 280.

- مشروع الأمل (1976م)
- كيف يصبح الإنسان إنسانا / ما قولك بما أنا ؟ - رواية (1978م)
- نداء إلى الأحياء (1979م)
- ما يزال في الوقت متسع للعيش (1980م)
- وعود الإسلام / من أجل مجيء المرأة (1981م)
- قضية إسرائيل (1983م)
- الجامع: مرآة الإسلام / ترجمة القرن العشرين / من أجل إسلام القرن العشرين (1985م)
- فلسطين أرض الرسالات الإلهية / الإسلام الحي (1986م)
- الإسلام في الغرب: قرطبة إحدى عواصم الفكر / في معاكسة الليل (قصيدة) (1987م)
- جولتي في القرن وحيدا " مذكرات " (1989م)
- أصوليات / إلى أين نذهب ؟ (1990م)
- حفار القبور (1992م)
- هل نحن بحاجة إلى الله (1993م)
- تذكرة ...تاريخ مقتضب للاتحاد السوفياتي (1994م)

المطلب الثاني: روجيه غارودي والعلوم الإسلامية:

أ - روجيه غارودي والإسلام:

بعدما أسلم روجيه غارودي (جويلية 1982م) سخّر قلمه للدفاع عن الإسلام، حيث ألّف كتبا تجاوزت العشرين في معالجة قضايا الإسلام والحضارة الغربية، وأصبح معروفا في جميع الأوساط الإسلامية لمكانته وثقافته وإيمانه بأن الإسلام هو الحل الأمثل لمشاكل البشرية.

لم يكن روجيه غارودي يخفي انبهاره وإعجابه بالإسلام خاصة في مقالاته ومحاضراته حيثما حلّ وارتحل، فالإسلام عنده "دين الوحدة، وهو بذلك دين المعنى والجمال، بينما يقوم عالمنا اليوم على التنافس العددي والكمي وتبدو الأحداث وكأنها محصلة قوى عمياء غاشمة للمجابهة والعنف" [1].

[1] الإسلام - هو الحل الوحيد للأزمات، ص: 17.

ويواصل غارودي ذكر النقاط التي شدت انتباهه في الإسلام إذْ يقول[1]: "بدا لي الإسلام مثل حامل إجابة على أسئلة حياتي، لا سيما على ثلاث نقاط أساسية بالنسبة للوعي النقدي لهذا العصر:

1 - لم يزعم النبي محمد ﷺ أبدا أنه اختلق ديانة جديدة، لكنه يدعونا إلى العقيدة الجوهرية لإبراهيم عليه السلام، في القرآن موسى والمسيح عليهما السلام نبيان للإسلام

2 - الإسلام لا يفصل بين علم الحكمة وحكمة الوحي. العلم الإسلامي في ذروته – في جامعة قرطبة – لم يفصل البحث في الأسباب عن البحث في الغايات... وفيما يتعلق بالوحي، فإنه لا يتعارض مع العلم ولا مع الحكمة، لكنه يعينهما على الوعي بحدودهما وبمسلّماتهما

3 – يسمح الإسلام بوضع مشكلة العلاقات بين العقيدة والسياسة (علاقات بين بُعدين للإنسان) دون أن يخلطهما مع العلاقات بين الكنيسة والدولة (علاقات بين مؤسسين) مثلما حدث كثيرا في أوربا وبخاصة في فرنسا".

ويقول أيضا: "أظهر الإسلام شمولية كبرى في استيعابه لسائر الشعوب ذات الديانات المختلفة، فقد كان أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد وكان في قبوله لأتباع هذه الديانات في داره منفتحا على ثقافاتهم وحضاراتهم والمثير للدهشة أنه في إطار توجهات الإسلام استطاع العرب آنذاك ليس فقط إعطاء إمكانية تعايش نماذج لهذه الحضارات، بل أيضا إعطاء زخم قوى للإيمان الجديد: الإسلام، فقد تمكن المسلمون في ذلك الوقت من تقبل معظم الحضارات والثقافات الكبرى في الشرق وأفريقيا والغرب وكانت هذه قوة كبيرة وعظيمة له، وأعتقد أن هذا الانفتاح هو الذى جعل الإسلام قويا ومنيعا "[2].

من جهة أخرى يشيد غارودي بالبعد العالمي للإسلام ويقول: "لأن الإسلام لم يكن يكتفي بجمع الثقافات العالمية بل عمل على إخصابها ونشرها من بحر الصين إلى الأطلسي، ومن سمرقند إلى تومبكتو أقدم وأسمى ثقافات الصين والهند والفرس واليونان والإسكندرية وبيزنطة، بل قدّم لامبراطوريات متفككة، ولحضارات محتضرة، روح حياة جماعية جديدة، وردّ للبشر ولمجتمعاتهم أبعادها البشرية والإلهية المميزة، وروح الجماعة والتسامي. وبدءًا من هذا الإيمان البسيط والقوي كان خميرةً لتجديد العلوم والفنون والحكمة النبوية والشرائع "[3].

---

[1] لماذا أسلمت ؟ ص: 70 – 71.

[2] بهاء الميري، (17 جويلية 2020)، روجيه جارودي.. الباحث عن الحقيقة:
https://www.albawabhnews.com/4085742، تاريخ الزيارة: 10 فيفري 2022.

[3] روجيه غارودي، الإسلام دين المستقبل، ص: 21.

ب - روجيه غارودي والعلوم الإسلامية:

يرى روجيه غارودي أن المحرك الأساسي للعلوم الإسلامية "هو البحث عن آيات الله في الطبيعة وفي التاريخ لتحقيق مشيئة الله دون الابتعاد عن الأسباب والنواميس الكونية"[1]. وقد استوعب العلوم الإسلامية في مضمونها وجوهرها وغايتها، لا في منجزاتها التاريخية فحسب، ويرى "أنها تمنحنا الطريق والأسلوب للتخلص من النزعة العلمية التي تفصل بين العلم والعقيدة، وتعمل على تهيئة الفكر والعقل لخدمة أهداف مرسومة"[2].

وقد خلص روجيه غارودي إلى أن العلوم الإسلامية مترابطة فيما بينها، وكل فرع يخدم الآخر، وفي هذا يقول: "إن إحدى المميزات الأساسية للعلوم العربية، هي اعتمادها المتبادل ترابطها بعضها ببعض: من جهة ليس ثمّة انفصال بين علوم الطبيعة والمرئيات وبين علوم الدين والفنون من جهة أخرى، وليست هناك كذلك حواجز عازلة بين مختلف العلوم من الرياضيات إلى الجغرافيا، وهذا ما يفسر ظهور العدد العظيم من العباقرة الموسوعيين في الثقافة الإسلامية "[3]. فالإسلام "لا يفصل بين **الإيمان** والعلم والتقنية، بل يجمع بينهما في كلٍّ لا يتجزّأ، لا يفصل بين البحث عن القوانين والأسباب وبين البحث عن الغايات والمعاني"[4].

إن أهم العلوم الإسلامية التي تطرّق إليها روجيه غارودي بالدراسة والتحليل، هي: القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية، وسأحاول التطرّق لهاتين النقطتين:

1 – القرآن الكريم:

يعتبر روجيه غارودي القرآن الكريم نقطة انطلاق التعليم عند المسلمين، وفي هذا يقول: "إن نقطة الانطلاق في أي نوع من التعليم هو القرآن الذي يُدرس في المسجد، فإن حكمة الإيمان تجمع كافة العلوم في كلٍّ عضوّي؛ لأنها جميعا تصبو إلى عالم هو كليته تجلٍّ من الله، أي وحي بآيات الله، فما الكون إلا مشهد ديني يظهر فيه الواحد عبر المتعدد بألف رمز."[5].

---

[1] الإسلام - هو الحل الوحيد للأزمات، ص: 20.

[2] الإسلام دين المستقبل، ص: 92.

[3] روجيه غارودي، وعود الإسلام، ص: 94.

[4] لماذا أسلمت ؟، ص: 91.

[5] الإسلام دين المستقبل، ص: 90.

إن القرآن الكريم يحث على طلب العلم ونشره بين الناس، فأول ما أُنزل من القرآن الكريم: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ ﴾[العلق: 1– 4]، وأيضا قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩ ﴾ [الزمر: 9]، وقال أيضا: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ ﴾ [الأنبياء: 7]، ويقول روجيه غارودي: "القرآن والحديث لا يفتآن يمجدان العلم ويحثّان على البحث العلمي حتى لو كان الباحثون لا يرتبطون بالإيمان الإسلامي. وهذا ما يفسر دور الإسلام المخصب والتجديد العلمي الذي حصل في كل مكان بفضل انتشاره، أوَ لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: « ما من رجل يسلُك طريقا يطلبُ فيه علما إلا سهَّلَ الله عز وجل له به طريقا إلى الجنة »"[1][2].

إن القرآن الكريم – حسب غارودي – "يعلمنا أن نعتبر الكون وكأنه وحدة يقوم الإنسان مع داخلها بالمشاركة في أداء واكتشاف معنى للحياة، بينما نِسياننا للخالق يجعل منا أشخاصا يعيشون على هامش الحياة، ويخضعون لحاجات ومصادفات خارجية، إن تذكرنا لله في صلاتنا يجعلنا نفهم مصدر وجودنا، وهو مصدر كل شيء في الوجود"[3].

ويقول أيضا: "إن القرآن يعلمنا أن نرى في كل حادث وفي كل شيء آية من آيات الله ورمزا لوجود أعلى يُسيّرنا ويُسيّر الطبيعة والمجتمع، وهدف الدين الرئيسي هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة إليه. ومما يجعل الإنسان إنسانا هو اتجاهه إلى تحقيق إرادة الله، فكل شيء في هذا العالم بالتأكيد يخضع لإرادة الله، فالحجر في سقوطه، والنبات في نموّه، والحيوان في غرائزه، كلها تخضع لله، ولكن هذا الخضوع لا يتوقف على إرادتها، فهي لا تستطيع أن تهرب من النواميس التي تحكمها بينما البشر وحدهم هم الذين يستطيعون"[4].

[1] أبو داود، السنن، كتاب: العلم، باب الحثّ على طلب العلم، رقم الحديث: 3643، 5 / 487.

[2] الإسلام دين المستقبل، ص: 88.

[3] الإسلام - هو الحل الوحيد للأزمات، ص: 17 - 18.

[4] المرجع نفسه، ص: 18.

2 - الشريعة الإسلامية:

لقد أبدى روجيه غارودي إعجابه بالشريعة الإسلامية التي جاءت موافقة للفطرة الإنسانية، ودعت لمكارم الأخلاق، يقول غارودي[1]: "إن التوجه الخلقي والديني، الطريق إلى الله، الشريعة الحق، هو الهدف الأساسي للقرآن: فمن أصل ما يزيد عن 6000 آية قرآنية، هناك 80 آية فقط حول الأحكام الحقوقية:

- في المادة الجزائية: خمس عقوبات قرآنية تتعلّق بالسرقة والزّنا والفِرية واللصوصية وقتل الإنسان.

- في المادة المدنية: هناك وصيّتان تتعلقان بالتجارة: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة:275]، وبالديون.

- في مادة الوضع الشخصي: تصوغ كل الآيات التشريعية الأخرى أحكاما متعلّقة بالزواج والطلاق والميراث".

وأما عن مكارم الأخلاق، فالقرآن الكريم دعوة دينية وأخلاقية، فهو "يقدّم الأسس الأخلاقية لوضع تشريع في كل عصر، يلبّي حاجات المجتمع، لكنه لا يقترح قانونا. أما بخصوص السياسة، فهناك كلمة واحدة فقط "الشورى" تترك للمؤمنين أمر تحديد كيفياتها، وبخصوص الاقتصاد، هناك كلمة أخرى "الربا" تحتاج هي أيضا إلى تعريف قانوني، وبالتالي هما توجيهان أخلاقيان"[2]. ويرى غارودي أن الأخلاق في القرآن "فوق القانون، وأن المحبّة فوق الحقوق، ومثال ذلك تجاوز قانون الثأر وشريعة القصاص بالمثل: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة: 45]، أو أيضا: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى: 40]، إن القصاص بموجب الحق والقانون هو ضرورة اجتماعية، لكن العفو بموجب المحبّة واجب أخلاقي ومعنوي في العلاقات الشخصية "[3].

---

[1] روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة، ص: 87.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع السابق، ص: 87 – 88.

ويقدّم روجيه غارودي بعض الأمثلة في التشريع الإسلامي، منها حقوق المرأة في القرآن وفريضة الزكاة، وأما عن حقوق المرأة في القرآن، فيقول: "إذا قارنا القوانين القرآنية مع قوانين المجتمعات السابقة، فإنها تشير إلى تقدّم ملموس قياسا لقوانين مدينتي أثينا وروما، حيث كانت المرأة تعتبر قاصرة للأبد. وأما في القرآن، فإن المرأة لها الحرية الكاملة في التصرف بأموالها وممتلكاتها. إن هذا الحق الموجود في غالبية التشريعيات الغربية، وخاصة في فرنسا، لم يُعترف فيه للمرأة إلا في القرن التاسع عشر أو القرن العشرين. فالقرآن والسنة الشريفة يمنحان للمرأة حق طلب الطلاق (عند الضرورة)، وهذا الحق لم تنله المرأة في الغرب إلا بعد ثلاثة عشر قرنا"[1]. كما لم يعتبرها مسئولة عن الخطأ الأول (الأكل من الشجرة التي نهى الله تعالى آدم وحواء عن أكلها)، وإنما كان الخطاب موجّها إلى آدم عليه السلام [2].

وأما عن فريضة الزكاة، فيقول غارودي: "إنها ليست صدقة، لكنها نوع من العدالة الداخلية المفروضة بحكم الشرع، والتي تجعل التضامن بين أهل الإيمان فعّالا؛ أي هؤلاء الذين يعرفون كيف ينتصرون على الأنانية والبخل في أنفسهم. إن الزكاة تذكير دائم بأن كل ثروة مثل كل شيء يعود إلى الله ولا يمكن للفرد التصرف بها على هواه؛ لأن كل إنسان هو متضامن مع الآخرين ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥ ﴾ [المعارج:24- 25]"[3]. فالزكاة "صورة من صور التأمين الاجتماعي الذي لم تعرفه أوربا إلا في القرن العشرين وبعد صراع مرير"[4].

من جهة أخرى، يؤكد روجيه غارودي على أثر التشريع الإسلامي في القوانين الغربية خاصة في إسبانيا، وفي هذا يقول: "إن أول كتاب يضم مجموعة قوانين مُبوّبة في الغرب كان على يد الفونس العاشر [5] بأجزائه السبعة، وهو يحوي في جزئه الثاني تشريعا حول الحرب مأخوذا عن النصوص الإسلامية حول هذا الموضوع وقد جُمع في عام 1280م في إسبانيا المسلمة (الأندلس) وبحثت فيه حماية الأطفال والشيوخ والنساء والعاجزين، واحترام الالتزامات وقوانين الشهامة التي يجب احترامها في زمن الحرب... واليوم إذا لم يعترف الغرب بتأثير هذه الحضارة الإسلامية التي أخصبت العالم خلال ألف عام على القانون الدولي، فلا بد أن يكون لديه تعصّب أعمى، وهو التعصّب الذي طالما اتُّهم به الإسلام، وهو منه براء"[6].

---

[1] الإسلام دين المستقبل، ص: 82.

[2] لماذا أسلمت ؟ ص: 78 - 79.

[3] الإسلام دين المستقبل، ص: 35 - 36.

[4] لماذا أسلمت ؟ ص: 77.

[5] وُلد في طُليطلة وقد لُقّب بالحكيم وكان ملك كاستيل وليرن وامبراطور الغرب، وكان مثقفا كبيرا، وقد نشطت الحركة العلمية في عصره وسُمّيت الجداول الفلكية باسمه " الجداول اللفونسية. الإسلام دين المستقبل، ص: 80.

[6] الإسلام دين المستقبل، ص: 80 – 81.

خاتمة:

الخلاصة:

إن العلوم الإسلامية قيمة علمية وحضارية، فهي علوم تفرّعت عن القرآن والكريم والسنة النبوية الشريفة مثل علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة والأدب واللغة والتاريخ والطب والفلك ...الخ، وانتشرت بانتشار الإسلام والمسلمين، وعملت على تحقيق السلام والتعايش السلمي في العالم وتقريب الشعوب من بعضها البعض باختلاف مشاربهم ومناهلهم وديانـاتهم ومعتقداتهم دون تمييز عرقي (عربي أو أعجمي) أو طبقي (غني أو فقير)، وكانت منفتحة على علوم الأجناس الأخرى وثقافاتها المختلفة مثل الفرس والروم.

النتائج:

وأما عن نتائج البحث المتوصل إليها، فهي كالآتي:

- العلوم الإسلامية هي العلوم التي تفرّعت عن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، مثل علم التفسير، وعلم القراءات، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم الحديث، وعلم اللغة والأدب ...الخ.
- مرور العلوم الإسلامية بالمرحلة النظرية عندما بدأت في فهم النصوص الشرعية في الكتاب والسنة مع الاستعانة بالعلوم الأخرى مثل: الطب والفلك والصيدلة، وهذا ما مكنّها للمرور بسلاسة إلى مرحلة التطبيق ثم الانتشار في الأقطار التي وصلها الإسلام.
- انتشار العلوم الإسلامية في العالم لم يكن ليحدث لولا الأسس المتينة التي اعتمدت عليها، مثل: الإسلام، العدل والمساواة، تشجيع خلفاء المسلمين للعلم والعلماء، والاستفادة من الثقافات الأخرى.
- أهداف العلوم الإسلامية كثيرة، منها: الدعوة إلى التوحيد، تكوين علماء متمكّنين، كالفقهاء والمحدّثين والقضاة والأئمة، توحيد المسلمين على كلمة واحدة انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تقوية الوازع الديني لدى الأفراد والجماعات وحمايتهم من الوقوع في المعاصي والمنكرات، تنظيم حياة الناس وفق الشريعة الإسلامية مع إيجاد حلول للنوازل والحوادث التي لم تكن في أسلافنا الأولين، نشر تعاليم الإسلام والقيم الأخلاقية التي جاءت لخدمة الإنسانية والبيئة والرفق بالحيوان.
- للعلوم الإسلامية مميزات كثيرة، منها: الدعوة إلى وحدانية الله تعالى، استعمال اللغة العربية في الكتابات والشروح، وتكامل العلوم وغزارتها.

- علاقة مالك بن نبي بالعلوم الإسلامية علاقة قوية وقديمة، بدأت منذ طفولته عندما التحق بالكُتّاب لحفظ القرآن الكريم، ثم بالمسجد الذي تعلّم فيه علم النحو والصرف وعلم الكلام والسيرة النبوية.
- ارتكاز الحضارة عند مالك بن نبي على عنصر الدين، وعندما نذكر الدين، نذكر العلوم الإسلامية التي انبثقت منه.
- المحرك الأساسي للعلوم الإسلامية – عند روجيه غارودي - هو البحث عن آيات الله في الطبيعة وفي التاريخ لتحقيق مشيئة الله دون الابتعاد عن الأسباب والنواميس الكونية.
- العلوم الإسلامية - حسب غارودي - مترابطة فيما بينها، وكل فرع يخدم الآخر، فليس ثمّة انفصال بين علوم الطبيعة والمرئيات وبين علوم الدين والفنون من جهة أخرى، وليست هناك حواجز عازلة بين مختلف العلوم من الرياضيات إلى الجغرافيا، وهذا ما يفسر ظهور العدد العظيم من العباقرة الموسوعيين في الثقافة الإسلامية.
- اهتمام روجيه غارودي بالقرآن والشريعة الإسلامية، فالقرآن يمثل نقطة انطلاق التعليم عند المسلمين، يحث على طلب العلم ونشره بين الناس، وأما الشريعة الإسلامية، فهي وافقت الفطرة الإنسانية ودعت لمكارم الأخلاق، وأنصفت المرأة في حقوقها المعنوية والمادية، مثل: طلب الطلاق للضرورة، والتصرف بحرية كاملة في الأموال والممتلكات.

توصيات البحث:

1- توطيد العلاقات بين الحضارات المختلفة عن طريق نشر العلوم الإسلامية للتصدي لحملات تشويه الإسلام والمسلمين.

2- تحفيز الشعوب غير المسلمة للتعرف على العلوم الإسلامية وترجمتها إلى كل لغات الشعوب.

3 – نشر العلوم الإسلامية بين شعوب العالم عن طريق وسائل الإعلام التقليدية والجديدة (الجرائد والمجلات، التلفاز، المذياع، الأنترنيت، ...)

4 – الاستفادة من خبرات الجامعات الإسلامية العالمية في تدريس العلوم الإسلامية

5 – التمكن من استعمال التقنيات الحديثة في شرح العلوم الإسلامية، مثل: تقنيات التحاضر عن بعد أو البث المباشر في وسائل التواصل الاجتماعي (فايسبوك ويوتوب)

6 - الاهتمام بمادة العلوم الإسلامية في المدارس والثانويات والجامعات، مثل: زيادة الحجم الساعي، وتوظيف الأساتذة ذوي الخبرات والكفاءات العالية في التخصص المنشود.

7 – تحفيز طلبة العلوم الإسلامية باستعمال الحوار والمناقشة والمناظرة لتنمية الرأي والرأي الآخر

8 – عقد ملتقيات ومؤتمرات دولية ووطنية من أجل تطوير العلوم الإسلامية والاستفادة منها في عدة ميادين.

9 – التفكير في إيجاد مشروع عالمي - بمبادرة عربية إسلامية – للتعريف بالعلوم الإسلامية وتقريب شعوب العالم من بعضها البعض.

.قائمة المصادروالمراجع:

1 - القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2 - أحمد شلبي، المناهج الإسلامية، ط 06، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية، 1989.
3 - أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، دعوة التقريب بين الأديان – دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، د ط، الدمام، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، دت.
4 - أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط 03، القاهرة، مصر، دار النهضة العربية، 1968.
5 - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط 01، القاهرة، مصر، عالم الكتب، 2008.
6 - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط 01، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، 2005.
7 - جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحق: محمد غسان نصوح عزقول الحسيني، ط 02، بيروت، لبنان، دار المنهاج، 2013.
8 - أبو داود، السنن، تحق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، ط 01، دمشق، سوريا، دار الرسالة العالمية، 2009.
9 - راغب السرجاني، عظماء أسلموا، ط 01، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية، 2013.
10 - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط 01، دمشق، سوريا، دار يعرب، 2004.
11 - روجيه غارودي، الإسلام - هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة في الغرب، د ط، مصر، دار كتاب المختار، د ت.
12 - روجيه غارودي، الإسلام دين المستقبل، تر: عبد المجيد بارودي، د ط، الإسكندرية، مصر، دار الإيمان، دت.
13 - روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة - أسبابها ومظاهرها، تر: خليل أحمد خليل، د ط، باريس، فرنسا، دار عام ألفين، 2000.
14 - روجيه غارودي، حوار الحضارات، تر: عادل العوّا، د ط، بيروت، لبنان، دار عويدات، 1999.
15 - روجيه غارودي، كيف نصنع المستقبل ؟، تر: منى طلبة وأنور مغيث، ط 3، القاهرة، مصر، دار الشروق، 2002.
16 - روجيه غارودي، لماذا أسلمت ؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، إعداد: محمد عثمان الخشت، د ط، القاهرة، مصر، دار مكتبة القرآن، 1986.
17 - روجيه غارودي، نحو حرب دينية ؟ جدل العصر، تر: صياح الجهيم، ط 2، بيروت لبنان، دار عطية، 1997.
18 - روجيه غارودي، نظرات حول الإنسان، تر: يحيى هويدي، د ط، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، 1983.
19 - روجيه غارودي، وعود الإسلام، تر: ذوقان قرقوط، ط 2، بيروت، لبنان، دار الرقي / القاهرة، مصر، مكتبة مدبولي، 1985.
20 - صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، ط 02، مركز سايمون وشوستر روكفلر، الولايات المتحدة الأمريكية، 1999.
21 - عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، ط 01، القاهرة، مصر، دار الشروق، 1998.
22 - ابن ماجه، السنن، تع: محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، القاهرة، مصر، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د ت.
23 - مالك بن نبي، تأملات، تقديم: عمر مسقاوي، ط 02، دمشق، سوريا، دار الفكر، 2002.

24 - مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، تقديم: عمر مسقاوي، ط 01، الجزائر، دار الفكر / دمشق، سوريا، دار الفكر، 1991.
25 - مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، د ط، دمشق، سوريا، دار الفكر، 1986.
26 - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، ط 05، دمشق، سوريا، دار الفكر، 2000.
27 - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، تر: عبد المجيد النعنعي ومروان قنواتي، ط 02، دمشق، سوريا، دار الفكر، 1984.
28 - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط 02، دمشق، سوريا، دار الفكر، 2002.
29 - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، ط 04، مصر، مكتبة الشروق الدولية، 2004.
30 - محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب - التعليم العربي الإسلامي – دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، ط 01، القاهرة، مصر، دار السلام، 2006.
31 - ابن منظور، لسان العرب، د ط، بيروت، لبنان، دار صادر، د ت.
32 - هاني المبارك وشوقي أبو خليل، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، ط 02، دمشق، سوريا، دار الفكر، 2004.
33 - عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، د ط، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د ت.

الرسائل الجامعية:

1 - حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2005.

المجلات:

1 - صبحي أفندي الكبيسي، عبد الله حسن حميد الحديثي، الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب - الجامعة العراقية، العراق، المجلد 01، العدد 03، د ت.

مواقع الأنترنيت:

1 - بهاء الميري، (17 جويلية 2020)، روجيه جارودي.. الباحث عن الحقيقة:
https://www.albawabhnews.com/4085742
2 - عبد القادر بنقدور (11 جوان 2020)، حياة مالك بن نبي: نسبه ومولده ونشأته ووفاته:
https://www.islamanar.com/life-malek-bn-nbi